الشرق الاوسط بين الجيوبوليتيك والايديولوجيا

إعداد | العميد الركن الدكتور حسن جوني | لبنان
أستاذ جامعي | قائد كلية فؤاد شهاب للقيادة والأركان سابقاً

المقدمة

1- يشكل الشرق الاوسط محط الأنظار والإهتمام الدوليين، ونقطة ارتكاز في العلاقات الدولية المعاصرة، فغالباً ما يهيمن على المحادثات والمؤتمرات بين مختلف دول القرار الدولي بحث عن فرص للسلام والاستقرار في منطقة تتفاعل فوق أرضها جملة من التفاعلات والصراعات بين الأجناس والأديان والإيديولجيات جامعة بين رحاها عوامل مؤثرة: كالعامل الجيوبولوتيكي والعامل الإيديولوجي. منطقة الشرق الاوسط أكثر المناطق العالمية هشاشةً رغم أنها تمثل ربع العالم من الناحية السكانية، وأكثر من خمس كوكب الأرض من ناحية المكان، وتعتبر قلب العالم من الناحية الجغرافية، وهي غنية أيضاً بالموارد الطبيعية التي تعتبر المحرك الأساسي لاقتصاد العالم أجمع، بحيث يستحيل وضع أي تصور جيوبوليتيكي عالمي دون تصور مركزي لهذا النظام.

تتفرد المنطقة بالعامل الإيديولوجي حيث تتنوع فيها المعتقدات والأديان والثقافات والقوميات والمذاهب مما جعلها مختبراً لحوار الحضارات وصراعاتها، ومؤشراً لما سيؤول إليه مستقبل البشرية جمعاء.

شهدت منطقة الشرق الاوسط في السنوات الماضية تطورات عديدة، يمكن أن يكون لها تداعيات سياسية، وأبعاد إستراتيجية هي غاية في الأهمية والخطورة، يتعلق الأول بالاحتلال الأميركي للعراق (2003). والثاني بإخفاق العدوان الإسرائيلي على لبنان (2006). والثالث بالإنقسام الفلسطيني (2007). أما الرابع فيتعلق بتزايد النفوذ الإيراني في العراق وفي عموم الشرق الأوسط وربما أن

تزايد النفوذ الإقليمي لإيران هو بمثابة التطور الأهم، والأبرز، بين مجمل التطورات المذكورة، بالنظر لتداعياته على تحدي النفوذ الأميركي في هذه المنطقة، ولاسيما في العراق، ودعم جبهات المقاومة في مواجهة إسرائيل وهناك التطور الخامس الجديد (2011) وهو الربيع العربي الذي بدأ بتونس ولم ينته حتى هذه اللحظة والذي أدى الى بروز النفوذ الروسي – التركي – الإيراني الإقليمي.

محاولة الولايات المتحدة الأميركية فرض تصورها الشرق أوسطي أو العربي عبر قضايا متداخلة بين بعدها العالمي من جهة وبعدها الإقليمي من جهة أخرى مثل قضايا التسلح واللاجئين والمياه والتعاون الاقتصادي، مع السعي لتأسيس نماذج للتعاون والتكامل على أسس جيوإستراتيجية، وجيواقتصادية بهدف تقويض النظم الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط، وخاصة الأنظمة العربية، وعلى حساب قضايا ومصادر الصراع الجوهرية، وهي الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية والقضية الفلسطينية، وعلى حساب الانتماءات والروابط العروبية والثقافية والحضارية والتاريخية واللغوية ولكن عودة بروز النفوذ الروسي في المنطقة أعادت خلط الأوراق فيها.

تلاقت المصالح الأميركية والإسرائيلية في إعادة صياغة خريطة المنطقة عبر طرح صيغة ملائمة لإدخال إسرائيل فيها بصورة تنزع عنها مواصفات الجغرافيا التاريخية وسمات التاريخ الحضاري والثقافي، وتشدد فيها على الجغرافيا الاقتصادية المعاصرة في نظام السوق العالمية، لتخلق فيها نواة سوق شرق أوسطية تتوسع بالتدريج إنطلاقًا من إسرائيل كنواة، ومن دورها كقوة جاذبة ومهيمنة اقتصادياً وتكنولوجياً وأمنياً ومدنياً.

إذا كانت الجغرافيا السياسية تنظر إلى الدولة كوحدة متكاملة، فإن الجيوبوليتيك تعدها كائناً عضوياً في حركة متطورة، أي أن هذا المصطلح يعني الطمع الجغرافي، حيث يلاحظ مع بروز الولايات المتحدة الأميركية كأكبر قوة عالمية، مفهوم جديد للجيوبوليتيك وهو الحدود الشفافة التي يقصد بها الهيمنة الأميركية الإقتصادية والعسكرية دون حدود خرائطية للدولة، أو ما يسمى بجغرافية السيطرة من دون إمبراطورية.

2- أهمية البحث.

تعيش دول الشرق الاوسط اليوم أخطر فترة في وجودها، فهي تواجه أزمات إقليمية كبيرة وخطيرة تمتد من فلسطين المحتلة إلى لبنان وسوريا والعراق ومصر وتونس والسودان والصومال، وتتميز كل أزمة من هذه الأزمات بفرادة واضحة، يضاف إليها الكثير من المشاكل والتحديات المماثلة والمتشابهة كانتشار الأسلحة والافتقار إلى الديموقراطية والنمو السكاني المتزايد والإرهاب والركود الاقتصادي والتخلف والفقر والبطالة، ما يعطي هذا البحث أهمية كبرى في تسليط الضوء على الأسباب الكامنة وراءها، والتي تشكل الجغرافيا السياسية والأيديولوجيا أهمها وأخطرها.

3- أهداف البحث.

يهدف هذا البحث في هذه اللحظات التاريخية والمصيرية التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي إلى الربط التدريجي بين بعض مجالات المعرفة من جغرافية سياسية واقتصادية وعسكرية وثقافية ودينية وعرقية وقومية واجتماعية لتكوين نسق شامل يصف كل جانب من الجوانب لتحديد المسارات والمتغيرات المختلفة التي شهدتها وتشهدها وستشهدها المنطقة، آخذةً بعين الاعتبار التحديات السياسية والاقتصادية والأمنية المحلية والإقليمية والعالمية وتشعباتها، بالإضافة إلى الموارد الطبيعية والبشرية والظواهر الأخرى المؤثرة على مجرى الأحداث والتطورات.

4- تقسيم البحث.

قسم البحث إلى ثلاثة فصول أساسية لإحاطة الموضوع من مختلف جوانبه، كما قسم كل فصل ال ثلاثة مباحث وفي ما يلي عناوين الفصول والمباحث:

أ- المقدمة:

ب- الفصل الأول: الشرق الاوسط من الوجهة الجيوبوليتيكية

(1)- المبحث الأول: التطورات الديموغرافية والسياسية للشرق الاوسط.

(2)- المبحث الثاني: مشكلات الشرق الاوسط من الوجهة الجيوبوليتيكية.

(3)- المبحث الثالث: البعد الاستراتيجي للشرق الاوسط.

ج- الفصل الثاني: الشرق الاوسط من الوجهة الإيديولوجية

(1)- المبحث الرابع: الشرق الأوسط من وجهة نظر العرب.

(2)- المبحث الخامس: الشرق الاوسط من الوجهة الصهيونية.

(3)- المبحث السادس: الشرق الأوسط الجديد.

د- الفصل الثالث: مستقبل الشرق الاوسط بين الجيوبوليتيك والأيديولوجيا

(1)- المبحث السابع: آفاق الجغرافيا السياسية في الشرق الاوسط.

(2)- المبحث الثامن: مشاكل الأيديولوجيا في الشرق الاوسط.

ز- الخاتمة.

ح- المرفقات.

ط- المراجع.

الفصل الأول: الشرق الأوسط من الوجهة الجيوبوليتيكية

تعتبر منطقة الشرق الأوسط من أهم المناطق المؤثرة في العلاقات الدولية وفي توازن القوى والمصالح في العالم. أهم مميزاتها موقعها الوسيط بين قارات العالم القديم أوروبا وأسيا وأفريقيا، وتماسكها الجغرافي، وبالتالي تحكمها في أهم الممرات المائية الدولية مثل قناة السويس، ومضيق باب المندب، ومضيق هرمز وجبل طارق والبوسفور والدردنيل. وتحتضن حوض البحر الأحمر وتشرف على جنوب شرق البحر المتوسط وبحر العرب وتطل على المحيط الهندي، الأمر الذي جعل منها منطقة ذات أهمية شديدة في العلاقات الدولية وذات تأثير كبير في تضارب المصالح الدولية.

إن القاعدة الجغرافية لمنطقة "الشرق الأوسط" بحسب التعريفات المحددة لها، تضيق وتتسع أحياناً،

ولكن المقصود بها في هذه المرحلة على وجه التحديد كل من: مصر ، الأردن، فلسطين، سوريا، لبنان، العراق ودول الخليج العربية، الى جانب الدول الشرق أوسطية غير العربية، وعلى وجه الخصوص، إسرائيل، وتركيا، وقبرص، إضافة الى باكستان، وإيران.[1]

ان دراسة الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط تقتضي الوقوف عند الموقع الجغرافي وميزاته والوضع السياسي والاقتصادي المتضمن للثروات والإمكانات المادية، إضافة إلى المشكلات التي تواجهها المنطقة في ظل التحولات الجارية في العالم وما ينتج عنها من تفاعلات تؤثر بشكل مباشر على مستقبلها. وقد تم تقسيم الفصل الاول الى ثلاثة مباحث على الشكل التالي:

- التطورات الجغرافية والسياسية للشرق الأوسط.

- مشكلات الشرق الأوسط من الوجهة الجيوبوليتيكية.

- البعد الاستراتيجي للشرق الأوسط.

المبحث الأول: التطورات الجغرافية والسياسية للشرق الأوسط

اولا: مصطلح الشرق الأوسط أصوله وتطوراته.

يرى باحثون متخصصون بالدراسات الشرق أوسطية أو بما اصطلح على تسميته بالشرق الأوسط، أن هذه التسميات قد جاءت من خارج المنطقة وارتبطت ارتباطاً قوياً بالمصالح الاستعمارية الغربية. وبات هذا المصطلح يتردد كثيراً في الكتابات والأحاديث التي تتناول هذه المنطقة، التي يمثل العالم العربي موقع القلب فيها، حتى بالنسبة للذين يرفضونه ويعتبرونه دخيلاً، فبات استعماله أمرا عادياً بالنسبة لعدد من الكتاب الباحثين والمؤرخين في قضايا الصراع العربي – الإسرائيلي، خصوصاً عند معالجة الأبعاد الإقليمية والدولية لهذا الصراع.[2]

كانت البدايات الأولى لمفهوم الشرق الأوسط قد جاءت من خلال البرتغاليين منذ عدة قرون، أما

شيوع هذا المفهوم والمصطلح فقد جاء من نتاج الفكر الغربي الإستعماري بعدما ارتبط انتشاره بتطور الفكر الإستراتيجي الإنكليزي، وقد تم إستعمال مصطلح الشرق الأوسط للمرة الأولى في العام 1902 بواسطة الكاتب الاميركي المتخصص في الإستراتيجية البحرية ألفريد ماهان "Alfred Mahan" لدى مناقشته الإستراتيجية البحرية الإمبريالية البريطانية، وذلك للإشارة إلى المسالك الغربية والشمالية المؤدية الى الهند.

في العام نفسه كتب فالنتاين شيرول "Valantine Sherol" مراسل جريدة التايمز البريطانية مجموعة مقالات امتدت لعدة شهور تحت عنوان المسألة الشرق أوسطية، وتم جمع هذه المقالات في كتاب صدر في عام 1903، وكرس "فالنتاين" مقالاته للبحث عن المقومات الإستراتيجية المتوافرة في المنطقة والتي تعتبرها بريطانيا ضرورية لتأمين الدفاع عن مستعمراتها في الهند والتي كانت توليها أهمية بالغة في ذلك الوقت. ونظراً لأهميتها فقد أطلق عليها جوهرة المستعمرات البريطانية، وقد تطور هذا التعبير وتصاعد وفق إستخداماته المرتطبة بالمصالح البريطانية.[3]

غير أن المصطلح بدأ في الانتشار أثناء الحرب العالمية الثانية على يد الحلفاء للإشارة إلى الإقليم الممتد من جنوب آسيا الى شمال أفريقيا، ثم أخذ تعبير " الشرق الاوسط" يحل تدريجياً بدل مصطلحات أخرى سادت قبله في الاستعمال مثل الشرق الأدنى والمشرق. [4]

تنوعت التعريفات لمصطلح الشرق الأوسط نذكر منها:[5]

تعريف بايندر–1958: قسّم منه الشرق الأوسط إلى ثلاثة أقسام:

الأول يضم دول القلب: الأردن، إسرائيل، السعودية، السودان، سوريا، العراق، لبنان، مصر، ليبيا.

دولتان خارج القلب هما: إيران وتركيا.

دول الهامش: أفغانستان، تونس، المغرب.

تعريف بريتشر–1969: قسّم الشرق الأوسط إلى ثلاثة أقسام أيضاً:

القلب يضم: الأردن، إسرائيل، سوريا، العراق، لبنان، مصر.

الهامش يضم: إثيوبيا، إيران، تركيا، الجزائر، السعودية، قبرص، الكويت.

أما دول الحلقة الخارجية فهي: تونس، السودان، الصومال، ليبيا، المغرب، اليمن الجنوبي، واليمن الشمالي (قبل الاتحاد).

تعريف «كانتوري – شيجل» 1970: التزم تقسيماً ثنائياً، فهناك دول القلب: الأردن، الإمارات، السعودية، السودان، سوريا، العراق، الكويت، لبنان، مصر، اليمن الجنوبي واليمن الشمالي، وفي الهامش: إسرائيل، إيران، وتركيا.

تعريف تومسون – 1970: وفيه تعامل مع المنطقة على أنها كتلة واحدة تضم: الأردن، تونس، الجزائر، السعودية، السودان، سوريا، العراق، الكويت، لبنان، ليبيا، مصر، المغرب، واليمن الشمالي (قبل الاتحاد). وفي العام 1976 عاد وعرّف «الشرق الأوسط» بصورة أشمل من تعريفه السابق فأضاف إليه: إسرائيل، أفغانستان، باكستان، إيران، تركيا، واليمن.

تعريف جون باتون – 1981 (The Middle East):" منطقة إقليمية تتمتع بمواصفات وتركيبات ومسالك تصل الشرق بالغرب وتتألف جغرافياً من: تركيا، إسرائيل، العراق، سوريا، الأردن، لبنان، عموم شبه الجزيرة العربية والمنطقة الخارجية مصر إيران باكستان.[6]

ثانيا: التطورات السياسية للشرق الأوسط.

ازدادت أهمية الشرق الأوسط مع تفاقم المصالح الغربية إثر التطورات الاقتصادية التي أنتجتها الثورة الصناعية، فانتقلت من منطقة إقليمية لها مكانتها الموقعية التي تصل الشرق بالغرب إلى منطقة اقتصادية من الطراز الأول بتعاظم ثرواتها النفطية، فكانت أهميتها الأولى في القرن التاسع عشر،

ثم تبلورت أهميتها الثانية في القرن العشرين بعدما أصبحت المنطقة العربية بكامل جغرافيتها مخترقة أوروبياً وأميركياً.

مع اقتسام الفرنسيين والإنكليز مناطق الانتداب والنفوذ في منطقة «الشرق الأوسط» وتسهيل قيام دولة إسرائيل في فلسطين، عرفت المنطقة تغييرات تحديثية عديدة أهمها:[8]

1- ديموغرافياً: تسببت عملية التحديث بوجود طفرة سكانية منقطعة النظير في تاريخ المنطقة، ما أدى إلى إنقلاب في البيئة الديموغرافية وضاعف المعدل السنوي للنمو السكاني عدة مرات. وكان هذا النمو أحد عوامل إدخال الشرق الأوسط في دائرة الأزمة المفتوحة؛ ويتفاوت عدد السكان بين دول الشرق الأوسط ما بين حجم كبير نسبياً يتجاوز الستين مليون نسمة كما هو الحال في تركيا، مصر وإيران وآخر متوسط يتراوح ما بين (31-21) مليون نسمة كما هو الحال في السعودية وثالث صغير يتراوح ما بين (20-10) مليون نسمة كما هو الحال في سوريا، واليمن ورابع صغير جداً يقل عن عشرة ملايين نسمة كما هو الحال في الأردن، الكويت، لبنان، البحرين، قطر، الإمارات، وإسرائيل.

2- اقتصادياً: عرفت معظم دول المنطقة حركة تصنيع، وتحديث زراعي، خصوصاً بعد الطفرة النفطية بعد حرب تشرين الأول 1973، لكن الطابع الريفي بقي هو الغالب على إقتصاديات «الشرق الأوسط» وهناك إختلال ملموس في التوازن من حيث الدخل السنوي بين الدول النفطية وغير النفطية[9].

3- ثقافياً: لا تزال معظم دول المنطقة تصنف في عداد الدول المتخلفة، وذلك رغم الثورة التعليمية الحديثة التي أدخلت عشرات الملايين من سكان المنطقة إلى دائرة الوعي والثقافة، تدل أخر الإحصائيات إلى أن معدل الأمية في المنطقة يقدر بـ 29،7 %.[10]

4- أيديولوجياً: قامت عملية تحديث واسعة بعد سقوط الدولة العثمانية، لكنها بقيت أسيرة النزاعات الطائفية والمذهبية والقبلية بالإضافة إلى الصراع العربي الإسرائيلي. ولا شك بأن تلك النتائج، كان لها تأثير، بشكل أو بآخر، على تشكيل ملامح المنطقة داخلياً ما عزز الأطماع الخارجية بثرواتها.

لعبت التعريفات الأميركية في الشرق الأوسط، وإعادة قراءة وبلورة أبعاده الجيوسياسية، والجيواقتصادية دوراً بارزاً للكشف عن حقيقة الموقع والدور الإسرائيلي في المنطقة، والنظام العالمي الجديد وموقع منطقة الشرق الاوسط. فقد رأى الرئيس السابق بيل كلينتون (Bill Clinton) أن الشرق الأوسط في حالة توازن دقيق بين مستقبلين بديلين:

الأول: يتمثل في سيطرة المتطرفين المُرتدين عباءة الدين أو الوطنية على المنطقة مستخدمين أسلحة الدمار الشامل، المحمّلة على الصواريخ الباليستية، ويقصد بها العراق (سابقاً) وإيران ومستثنياً إسرائيل وما تملكه من ترسانة نووية.

الثاني: مستقبل تحقق فيه إسرائيل وجيرانها العرب والفلسطينيون، مصالحة تاريخية وتمهد الطريق للتعايش السلمي، والتنمية الاقتصادية والإقليمية.

مع انتهاء الحرب الباردة، تبرز الحاجة إلى إعادة تعريف المنطقة، إذ يجب علينا أن ندخل الدول الإسلامية الحديثة الولادة في آسيا الوسطى كأحد عناصر استراتيجيتنا في المنطقة مع أنها تقع عند أطراف الشرق الأوسط.[11]

المبحث الثاني: مشكلات الشرق الأوسط من الوجهة الجيوبولوتيكية

اولا: جيوبوليتيك الشرق الاوسط

أسهم موقع الشرق الأوسط في تعرضه لأحداث جسيمة لاتزال تؤثر في أوضاع السكان واستمرار عدم الاستقرار ونشوب الحروب، وتعتبر سمة عدم الإستقرار إحدى السمات الهيكلية الأساسية لمنطقة الشرق الأوسط, والتي تطورت بفعل بعض العوامل المتداخلة التي شكلت ملامح البيئة الاستراتيجية للمنطقة، والتي أدت بدورها إلى دخوله في حلقات مفرغة من العنف بمستوياته وأشكاله المختلفة.

تتمثل إحدى الخصائص التقليدية لمنطقة الشرق الأوسط في ما يسميه شانتال كوادرات Chantal

Qudraat أهميتها الاستراتيجية عابرة الإقليمية،[13] التى تعود إلى عوامل متعددة، أبرزها احتياطها الضخم من النفط، وتحكمها فى خطوط الملاحة الدولية الرئيسية، وتأثيرات الصراع العربى الإسرائيلى، وبؤرة الصراع المزمنة فى الخليج على مصالح الأطراف الدولية فيها، وقربها الجغرافي من أوروبا ثم ما بدأت تفرزه من عناصر تهديد لأمن الكثير من دول العالم الأخرى، وهى عوامل لم تتأثر مع الوقت.

تعتبر الفترة بين الحربين العالميتين من أهم العوامل التي أثرت على مستقبل الاستقرار والصراع في المنطقة، فكان من نتائج الحرب العالمية الأولى التجزئة الجغرافية في العالمين العربي والإسلامي، وكان من نتائج الحرب العالمية الثانية، الإعلان عن قيام دولة "إسرائيل" على أرض فلسطين، وإشعال أخطر قضية تاريخية. وبذلك تمحور الشرق الأوسط، حول قضايا نزاع وصراع عالميين وإقليميين دائمين عنوانهما: قضية فلسطين وقضية الصراع على النفط و"الشأن المائي".

ظهر نمطان مهمان من التهديدات غير التقليدية للمنطقة:

النمط الأول هو التهديدات التي تواجه سكان المنطقة، من تفاقم مشكلات الأقليات في المنطقة، وتصاعد مشكلات اللاجئين الفلسطينيين داخل الدول العربية.

النمط الثاني هو التهديدات غير التقليدية لموارد المنطقة.

أصبح الصراع على الشرق الأوسط هوية وسياسة وإتجاهاً ومستقبلا المحدد الأول للتفاعلات الرئيسية في المنطقة. وأخذ الصراع العربي–الإسرائيلي يفقد بعضاً من مكانته التي إحتفظ بها لعقود كان فيها هو الصراع المركزي في هذه المنطقة.

ولا يعني ذلك أنه بات صراعاً هامشياً أو محدود الأهمية. فهو مازال المصدر الرئيسي للتوتر الإقليمي. تعتمد عليه القوى الراديكالية في التعبئة التي تسعى إليها ضد الولايات المتحدة، التي يؤدي إنحيازها الكامل لإسرائيل إلى تعاطف شعبي مع من يتحدى سياستها.

تتسم منطقة الشرق الأوسط بتنوع وتعدد الأعراق والأديان واللغات والثقافات بدرجة كبيرة جعلت أغلبية الكتاب الغربيين يجمعون على إعتباره طابعاً فسيفسائياً للمنطقة:

تنتمي أغلب شعوب المنطقة من الناحية الإثنية إلى السلالات الفرعية التالية: السامية، التركية، الهندية، الآرية"، السامية تضم أساساً العرب واليهود في حين يشكل الإيرانيون أكبر المجموعات الآرية، أما الأتراك فينتشرون عبر بلاد الحزام الشمالي، وهم يشكلون معظم سكان تركيا الحديثة. إلى جانب هذه الإثنيات يوجد بعض المجموعات الإثنية الأخرى مثل الأكراد (المنتشرين في تركيا والعراق وسوريا وإيران).

يعتبر الشرق الأوسط مهد الديانات السماوية التوحيدية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، والتي تنقسم بدورها إلى جملة من المذاهب والطوائف إلى جانب ديانات وعقائد أخرى (مثل الزرادشتية في إيران، والصابئة...الخ). ولا شك أن الدين والثقافة من الأمور الأساسية في تحديد التنوع الداخلي الذي تتسم به المنطقة والهوية المميزة على حد سواء.

كما تسود في الشرق الأوسط من الناحية اللغوية اللغات العربية والفارسية والتركية بلهجاتها المحلية، هذا بالاضافة الى لغات محدودة أخرى مثل العبرية والآرامية والسريانية والأرمنية والكردية ... إلخ.

ثانيا: المياه بين الصراع والتعاون الاقليمي في الشرق الاوسط.

تشكل المياه إحدى أهم وأعقد قضايا الصراع في منطقة الشرق الأوسط، وقد توقّع بعض الاستراتيجيين الغربيين وقوع حرب حتمية بسبب المياه. وقد ذكر بن غوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل في العام 1955: «أن اليهود يخوضون اليوم معركة مع العرب هي معركة المياه، وعلى مصير هذه المعركة يتوقف مصير إسرائيل، وإذا لم ننجح في هذه المعركة لن نكون في فلسطين».

الحقيقة أن أزمة المياه في المنطقة نشأت منذ بداية هذا القرن، واستمرت مستفحلة حتى يومنا هذا. ففي معاهدة سايكس– بيكو، اختلف الفرنسيون من جهة، والبريطانيون والحركة الصهيونية من جهة

أخرى، حول رسم حدود لبنان الجنوبية. وكان الخلاف يدور حول مياه نهر الليطاني. بالإضافة إلى الأطماع بمياه نهر النيل الذي طرح مشروع نقل قسم من مياهه إلى إسرائيل على بساط البحث غداة اتفاقية كامب ديفيد، وشط العرب الذي لا يزال مدعاة للخلاف بين إيران والعراق.

ثالثا: النفط.

أشار معهد يونيون بيتروليبه» النفطي السويسري في تقرير أوردته صحيفة «الوطن» السعودية بتاريخ 30 آذار 2008 إلى أن احتياطي النفط المؤكد في الشرق الأوسط بلغ 1.24 مليار طن وهي أعلى زيادة بين المناطق الجغرافية الأخرى في العالم، تليها منطقتا أميركا الشمالية وأميركا الجنوبية اللتان سجّلتا معاً زيادة قدرها 0.68 مليار طن.

بتاريخ 12 نيسان 2008 أشارت الدراسات أنه يقدر احتياط النفط في الشرق الاوسط ب66% من احتياط النفط العالمي. وتعتبر هذه المنطقة المزود الرئيسي للنفط للعالم المتطور وخاصةً أوروبا، الولايات المتحدة الامريكية، روسيا واليابان، وهذا اعطى لبعض الدول في الشرق الاوسط قوة اقتصادية اثرت كثيرًا على شعوب المنطقة. فالنفط الشرق اوسطي موجود بكثرة في منطقة الخليج العربي، وعلى هذا الاساس تحاول الدول الكبرى ان تشرف على المنطقة واليوم المشرف الوحيد على المنطقة هو الولايات المتحدة الامريكية. صفة خاصة للنفط في الشرق الاوسط انه غير مكلف، فمن كل بئر نفط تستخرج كميات كبيرة ولا حاجة لحفر ابار كثيرة وعميقة.

بالإضافة إلى ما تقدم، فإن الشرق الأوسط اتصف دوماً بغلبة قوى من الصراع بين الأجناس والأديان والأيديولوجيات، إذ ساهمت قضايا الحدود والموارد والقيم، وحتى قضايا التنمية الاقتصادية والتوترات الطائفية والإثنية، في بلورة تهديدات للأمن الإقليمي. وتدخل مشكلات وحروب ما يسمى بالربيع العربي ضمن هذا السياق، وظلت الصراعات القائمة في الشرق الأوسط بمثابة انعكاس للضغوط المحلية والتشوهات السائدة على المستوى الإقليمي، كما كانت انعكاساً للضغوط النابعة من النظام الدولي.[15]

المبحث الثالث: البعد الإستراتيجي للشرق الأوسط

استمد الشرق الأوسط جانباً رئيسياً من أهميته الاستراتيجية بسبب الحيوية المتزايدة لصادرات النفط من المنطقة، لا سيما من الخليج العربي. وقد حكمت هذه الوضعية الى حدٍ كبير شبكة التفاعلات الإقليمية والدولية في الشرق الأوسط طيلة العقود الأربعة الماضية فضلاً عن أنها أدت الى تكييف مجمل الصراعات الإقليمية فيه وفقاً للصراع المركزي بين القوتين الأعظم الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي (سابقا).

إن بعض الروابط والعلاقات الاستراتيجية التي نشأت بين هاتين القوتين ودول المنطقة كانت ترتبط بأجواء الحرب الباردة بصورة مباشرة، بينما كان البعض الآخر فيها يتصل بمصالح سياسية واقتصادية أكثر عمقاً وذات قدرة أكبر من الاستمرارية. وهكذا فإن التحول الاستراتيجي الرئيسي في الشرق الأوسط ينصب حالياً على تلك الروابط والعلاقات التي كانت ترتبط إرتباطاً وثيقاً بظروف الحرب الباردة.

أثرت نهاية الحرب الباردة على الميزان الاستراتيجي في الشرق الأوسط، وعمّقت من الخلل في الميزان الاستراتيجي لصالح إسرائيل وتركيا وإيران على حساب الدول العربية ومن الممكن الوقوف على هذه النتيجة تحديداً عبر تناول النتائج المباشرة التي ترتبت على انتهاء الحرب الباردة، ويمكن في هذا الصدد الإشارة الى أربع نتائج رئيسية على النحو التالي:

اختفاء الحليف الاستراتيجي وانعدام هامش المناورة الاستراتيجية أمام عدد من الدول العربية أثناء المواجهة بين الشرق والغرب، فضاقت دائرة الفرص وتضاعفت القيود، وأصبح الغرب يمتلك قدرة متعاظمة أكثر من ذي قبل على التحكم في الموازين الاستراتيجية والعسكرية في المنطقة.

الانفراد الأميركي بالهيمنة، ويفضي مثل هذا الوضع تلقائياً إلى تمكين الولايات المتحدة من فرض قائمة إهتماماتها في مجال الأمن الدولي وإمتلاك قدرة أكبر على ضبط الصراعات الإقليمية. وتعتبر حرب الخليج الثانية وسقوط أفغانستان والعراق نموذجاً بارزاً على ما يمكن أن يفضي إليه الانفراد الأميركي بالهيمنة.

توطيد التعاون الاستراتيجي الأميركي – الإسرائيلي. فقد أدى إنتهاء الحرب الباردة إلى توفير قوة دفع إضافية لعلاقات التعاون العسكري والاستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل. بل إن هذا التعاون أصبح يمتد إلى مجال أنظمة التسلح الكبرى التي تعتمد أعمال تطويرها الثورة التكنولوجية الراهنة، لا سيما مجالات الإلكترونيات الدقيقة وصناعات الفضاء والمعلومات.

إطلاق حرية الحركة أمام دول الجوار الجغرافي (تركيا، إيران)، حيث تسبب انتهاء الحرب الباردة وما أعقبها من تداعيات، في تعميق حالة الفراغ الاستراتيجي القائمة في منطقة الخليج العربي وآسيا الوسطى وأتاح ذلك مجالاً واسعاً لكل من تركيا وإيران للحركة السياسية وممارسة النفوذ في هاتين المنطقتين.

بالنسبة لتركيا: دفعت التطورات الى زيادة القيمة الاستراتيجية لتركيا من وجهة النظر الأميركية، حيث طرحت في ظل هذه المتغيرات إمكانية مشاركة تركيا في إقامة نظام أمن إقليمي في الشرق الأوسط والإسهام في حل مشاكل الشرق الأوسط كما أصبح أمام تركيا فرصة للتحرك السياسي والاقتصادي في منطقة آسيا الوسطى خاصة وأن هذا التحرك يلقى دعماً وقبولاً عربياً واسعاً لمواجهة التغلغل الإيراني في تلك الأنحاء، فضلاً عن أن مجمل تلك المتغيرات أفضت إلى تنامي التطلعات الإقليمية التركية في الشرق الأوسط، مع تزايد الاهتمام بتنمية القدرات العسكرية التركية للقيام بمثل هذا الدور.

أما فيما يتعلق بإيران، فإن تدمير القوة العسكرية العراقية وظهور الجمهوريات الإسلامية المستقلة في آسيا الوسطى قد أتاح فرصة مثالية لتنشيط الدور الإقليمي الإيراني، سواء في إطار محاولة المشاركة في إقامة نظام للأمن الإقليمي في الخليج أو في إطار تكثيف الوجود السياسي والاقتصادي والثقافي الإيراني في آسيا الوسطى. يعكس السعي الإيراني إلى القيام بهذا الدور في أحد جوانبه في صورة تبني استراتيجية شاملة لإعادة بناء القدرات العسكرية، والاهتمام بصفة خاصة بامتلاك قدرات صاروخية ونووية باعتبار ذلك أداة رئيسية لاكتساب المكانة المستهدفة.[17]

انصبت هذه المتغيرات إجمالاً في اتجاه إضعاف الموقف العربي جزئياً وكلياً في الميزان الاستراتيجي

في الشرق الأوسط، الأمر الذي أضعف المكانة النسبية للدول العربية في منظومة التفاعلات الإقليمية في المنطقة، وجعلها أكثر قابلية للابتزاز والإرغام في تعاملاتها مع كل من إسرائيل وتركيا وإيران، لا سيما خلال التعاملات المتعلقة بتسوية الصراع العربي الإسرائيلي والإتفاق على صيغ التعاون الإقليمي في المجالات الاقتصادية والأمنية والمائية.

شملت المتغيرات الدولية في الحقبة الأخيرة: بروز الولايات المتحدة كقيادة منفردة للعالم، بروز العامل الاقتصادي، الثورة التكنولوجية الهائلة، نمو حجم وكثافة الصراعات العرقية والعامل القومي، التأكيد على بعض القيم في الحياة الدولية مثل حقوق الانسان والسلام والحرية والمنظمات غير الحكومية والبيئية.

أما المتغيرات الإقليمية فتأتي في مقدمتها دخول الصراع العربي – الاسرائيلي مرحلة الاتفاقات ومسارات التسوية، ازدواجية المعايير في التعامل مع مشكلات منطقة الشرق الأوسط، آثار أزمة الخليج على الأمن والنظام العربي، تنامي الدورين التركي والإيراني والاضطرابات في القرن الإفريقي.

بالإضافة إلى ذلك هناك عدة قضايا تؤثر على الأمن القومي في منطقة الشرق الأوسط مثل قضية المياه واحتمال الشح في المستقبل القريب، وقضية التخلف التكنولوجي، والخلل في التوازن التسليحي، والأطماع الإقليمية في المنطقة، والتهديدات الإقتصادية لدول منطقة الشرق الأوسط، والخلافات العربية – العربية واضطرابات «الربيع العربي».

الفصل الثاني: الشرق الأوسط من الوجهة الإيديولوجية

تميز تاريخ الشرق الأوسط بمعاناة وتناحر هائلين بين شعوبه. فلقرون خلت كانت بالإضافة لكونها تقاطع طرق تجارية ومركز صراع على الأرض الخصبة فإنها أرض الديانات السماوية الثلاث الكبرى اليهودية والمسيحية والإسلام، تلك الديانات التي تتشارك عقائدها على إنها من ذرية إبراهيم. وتحتوي شبه الجزيرة العربية التي تعتبر أكبر مستودع للنفط في العالم، هذا الوقود الذي تعتمد عليه الأمم بشدة.[21]

إن دراسة الشرق الأوسط من الوجهة الأيديولوجية يستدعي الوقوف على الأسباب التاريخية والموضوعية لهذا الصراع القائم منذ آلاف السنين إضافة الى المشكلات التي تواجهها المنطقة في ظل التحولات الجارية في العالم، وهي تدفعنا للبحث في هذا الفصل بأمور ثلاثة قسمت الى ثلاثة مباحث وذلك على الشكل التالي:

- الشرق الأوسط من وجهة نظر العرب.
- الشرق الوسط من الوجهة الصهيونية.
- الشرق الأوسط الجديد.

المبحث الرابع: الشرق الأوسط من وجهة نظر العرب

يشكل العالم العربي القلب بالنسبة للشرق الأوسط، فالروابط التاريخية منذ الأزل قائمة بين الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين عن طريق الهجرات والتجارة، وهي تعود الى ما قبل 3000 عام قبل الميلاد. " إن الفيض السكاني في الجزيرة العربية تسبب في هجرات وتنقلات الى خارج الجزيرة باتجاه بلاد ما بين النهرين وصولاً الى بلاد الشام حتى شواطئ المتوسط. وقد اشارت الى ذلك كتابات آشورية".[22] كما وعرفت هذه المنطقة الحيوية من العالم حضارات وثقافات مختلفة. فهي وقعت في

عهود متفرقة تحت حكم شعوب مختلفة شملت الكنعانيين والمصريين والآشوريين والإسرائيلين والفرس والمقدونيين والرومان والبيزنطيين مروراً بالحملات الصليبية عليها وحكم السلطنة العثمانية الذي إستمر قرابة خمسة قرون.

كان قرار دخول الإمبراطورية العثمانية الحرب العالمية الأولى عاملاً حاسماً في سقوطها وانهيارها. وهي التي كانت أراضيها تمتد على رقعة شاسعة من بلاد البلقان بالإضافة لآسيا الصغرى والبلاد العربية الآسيوية.

شكلت في تشرين أول من العام 1918 لجنة إخصائيين من فرنسيين وإنكليز لبحث مصير هذه الشعوب وكان قرارها ضرورة وضعها تحت الانتداب. وقد قسمتها الى مجموعتين: المجموعة الأولى البالغة درجة من التقدم والرقي تمكنها من إدارة نفسها بنفسها ويمكنها اعلان إستقلالها تحت شروط وقيود محددة. أما المجموعة الثانية التي عُني بها الشعوب العربية فهي لم تبلغ سن الرشد لإدارة شؤونها ودولها. ولا بد من مساعدتها وتهيئتها على ذلك عبر وضعها تحت الإنتداب والإشراف المباشر على شؤونها السياسية والاقتصادية.[23]

خاض العرب حرب الاستقلال على جبهات عدة عسكرية وسياسية وديبلوماسية، خاصة وإن الثورة العربية قد ساهمت وبشكل فعال في إضعاف السلطنة العثمانية حيث إن قوات هذه الثورة قاتلت جنباً الى جنب مع القوات الإنكليزية ضد الجيوش العثمانية. ورغم الدور العربي المؤثر في مجريات الأحداث، ورغم الوعود التي قطعتها بريطانيا عبر مراسلات مكماهون والشريف حسين لدعم إستقرار البلاد العربية فإن شيئاً من هذا القبيل لم يحدث.

كانت خيبات الأمل العربية من السياسات الدولية تجاه الشعوب العربية بشكل خاص وشعوب الشرق الأوسط بشكل عام حافزاً أساسياً لتداع العرب تشكيل منظومة اقليمية تمتد من المحيط الى الخليج تترابط وتتواصل بأواصر لغوية وجغرافية وتاريخية وثقافية واجتماعية ودينية (باستثناء الجوار العربي: تركيا– إيران) وقامت جامعة الدول العربية.

حين اجتمع ممثلو الحلفاء في سان ريمو (ايطاليا) في ربيع عام 1920 للنظر في معاهدة الصلح الموقعة مع تركيا في سيفر، إنتهزت بريطانيا وفرنسا هذه الفرصة للتوقيع على معاهدة سان ريمو النفطية التي حصلت فرنسا بموجبها على حصة من الإنتاج المحتمل لنفط ما بين النهرين (العراق) مقابل أن تسمح فرنسا بمد خط أنابيب نفطية بريطانية عبر الأراضي الواقعة تحت الانتداب الفرنسي ليصب على شواطئ البحر الأبيض المتوسط.[27]

نجد أن زرع الكيان الإسرائيلي في قلب المنطقة العربية عام 1948 كان مقدمة لخلق مشروع خاص بتلك المنطقة يساهم في زعزعة الاستقرار العربي وترسيخ أقدام إسرائيل في هذه الأرض والاعتماد عليها وجعلها القاعدة العسكرية المتقدمة في حماية مصالح تلك الدول.

رفض العرب قرار الأمم المتحدة الصادر في 29 تشرين الثاني 1947 الداعي إلى تقسيم فلسطين لدولتين إسرائيلية وفلسطينية. وتداعوا إلى الجهاد المقدس دفاعاً عن شرف وكرامة الأمة العربية ورفضاً لقيام الكيان الإسرائيلي على أرض عربية. وفي الوقت الذي اشتدت فيه المواجهة بين العرب واليهود، أعلنت بريطانيا في 15 أيار 1948 تخليها عن انتداب فلسطين، وإعلان دافيد بن غوريون رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية قيام دولة إسرائيل. سارعت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وغيرها من الدول بالاعتراف بها الأمر الذي واجهه العرب بمزيد من التصميم على رفض هذا الكيان.

خاض العرب الحرب الأولى ضد اسرائيل سنة 1948، فبعد انسحاب القوات البريطانية هاجمت الجيوش العربية (لبنانية ومصرية واردنية وسورية) إسرائيل وحققت بعض الانتصارات إلا أن تدخل مجلس الأمن بضغط أميركي فرض هدنة 1949 لإعطاء فرصة للوسيط الدولي الكونت برنادوت لإيجاد حل سلمي، وبعد فشل هذا الوسيط تجدد القتال حيث استطاع اليهود الاستيلاء على معظم الأراضي الفلسطينية باستثناء قطاع غزة والضفة الغربية التي بقيت بأيدي العرب. وكان من نتائج هذه الحرب فرض هدنة جديدة وقعتها كل من سوريا ومصر ولبنان والأردن، وتثبيت دولة إسرائيل، وتهجير حوالي مليون فلسطيني.

تلا ذلك عدد من الحروب العربية الإسرائيلية حيث حقق اليهود في عام 1967 إنتصارات جديدة باحتلال القدس وغزة وسيناء والضفة الشرقية لقناة السويس وهضبة الجولان. وتوقفت هذه الحرب بعد تدخل مجلس الأمن الذي أصدر لاحقاً قراره 242 في تشرين أول من العام 1967 الذي دعا إسرائيل إلى الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة.

أدى تدخل الحركات الإسلامية المتطرفة الى تحويل المشروع الإسلامي من مشروع حضاري يقف على أرضية طيبة الى مشروع صدامي متطرف. فالإسلام في جوهره يرفض الإرهاب ويحاربه ويدعو الى التسامح والتعايش مع الحضارات والديانات الأخرى.[30]

يجد العالم العربي نفسه أمام خطابين إسلاميين متناقضين: خطاب معتدل يرفض الإرهاب والعنف ويدعو الى التعايش والتسامح، وخطاب متطرف يدعو الى العنف والإرهاب والتصادم مع الآخر. والفرق بين الخطابين أنّ الخطاب المعتدل لا يمتلك أكثر من تقديم الحجج والبراهين الشرعية التي تؤكد براءة الإسلام من تنفيذ العمليات الإرهابية الوحشية ضد المدنيين، لذا فإن تأثير الخطاب المتطرف على العالم العربي يفوق الخطاب المعتدل.

المبحث الخامس: الشرق الأوسط من الوجهة الصهيونية

اولا: اغتصاب الأرض ورسم حدود جغرافية جديدة. _

من المؤكد أن الصهيونية هي نتيجة تزاوج بين الأيديولوجية اليهودية، وعصر الاستعمار الهادف الى سلب منطقة الشرق الأوسط مواردها الطبيعية من نفط وغاز وثروات بالإضافة الى سلب شعب بأكمله أرضه بحجة العودة الى أرض الميعاد.

كتب تيودور هرتسل، مؤسس الحركة الصهيونية العالمية المنظمة عام 1897 في يومياته: «يجب قيام كومنولث شرق أوسطي، يكون لدولة اليهود فيه شأن قيادي فاعل، ودور إقتصادي قائد، وتكون المركز لجلب الإستثمارات والبحث العلمي والخبرة الفنية.[31] وأكد مؤتمر بلتيمور الصهيوني على

تكريس مقولة الكومنولث الشرق أوسطي عام 1942. ومنذ ذلك الحين شكلت صياغة الشرق الأوسط بالمعايير الغربية الإسرائيلية جوهر استراتيجية الكيان الصهيوني كوظيفة بنيوية لهذا الإسقاط الغربي في المنطقة.

ثانيا: بروز مصطلح الشرق الأوسط صهيونياً.

صدر في عام 1907 في لندن تقرير كامبل بنرمان وزير المستعمرات آنذاك، الذي وضعه في مؤتمر عقدته مجموعة من علماء التاريخ والسياسة والاقتصاد، بمشاركة عدد من السياسيين الأوروبيين وتناول الوضع في المنطقة العربية، جاء فيه: «يكمن الخطر على الغرب في البحر المتوسط، لكونه همزة وصل بين الشرق والغرب. ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية شعب واحد، تتوافر له وحدة التاريخ واللغة والجغرافية وكل مقوّمات التجمع والترابط، وذلك فضلاً عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية الكبيرة.[32]

يتساءل تقرير كامبل بنرمان عن مصير المنطقة، إذا انتشر فيها التعليم والثقافة، ويجيب بأنه إذا حدث ذلك، فسوف تحل الضربة القاضية بالإمبراطوريات القائمة. ووضع المؤتمر الإستعماري في لندن المخططات والوسائل الكفيلة لإضعاف الوطن العربي وتسهيل السيطرة عليه وعلى شطآنه وإحتواء إراداته وطاقاته وثرواته ومنع تطوره وتقدمه ووحدته. وحدد الوسائل والأساليب للوصول إلى ذلك بما يلي:

إقامة حاجز بشري غريب وقوي مانع، يفصل بلدان المشرق العربي عن بلدان المغرب العربي، وإقامة قوة قريبة من قناة السويس، عدوة لشعوب المنطقة وصديقة للدول الأوروبية.

العمل على تجزئة الوطن العربي إلى دول وكيانات متعددة.

بدأت الصهيونية تعمّم هذا المصطلح «مصطلح الشرق الأوسط» بديلاً للوطن الواحد والشعب الواحد والأمة الواحدة، نظراً لأنه ملتقى القارات الثلاث ويُشرف على أهم الممرات المائية كقناة السويس،

ومضيق باب المندب، وخليج العقبة ومضيق هرمز، ويختزن أكثر من ثلثي احتياطي النفط العالمي. وتخشى الصهيونية والإستعمار من إقامة دولة إتحادية عربية قوية وغنية ومسلحة بالثروة النفطية والقومية العربية والعقيدة الإسلامية. هدف التقرير إلى إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين، والسيطرة على الموقع الجيوإستراتيجي الهام للوطن العربي وعلى قناة السويس، ونهب ثرواته الطبيعية والحيلولة دون تطوره ودون تحقيق وحدته.

ظهرت "الشرق أوسطية " كفكرة إسرائيلية لأول مرة في وثيقة أصدرها «إتحاد إيهود» بتاريخ 28/3/1948 وتضمنّت «التصاق فلسطين في إتحاد شرق أوسطي واسع»، ووقعها عن اللجنة التنفيذية للإتحاد المذكور: يهودا ماغنس، مارتن بوبر، ديفيد سيناتور، جيرت ويليلم وإيزل مولهو.[33]

كان تأسيس الكيان الصهيوني في فلسطين العربية، تحدياً مصيرياً للعرب، وأحدث إنقطاعاً في التواصل الجغرافي العربي وإستنزافاً في الموارد الإقتصادية للبلدان العربية. وأصبح الكيان الصهيوني أداة عسكرية في يد الدول الإستعمارية للحيلولة دون وحدة العرب وتطورهم ولإذلالهم وإخضاعهم والسيطرة عليهم وعلى ثرواتهم.

اقترح بن غوريون، أول رئيس وزراء لدولة إسرائيل على الرئيس الأميركي أيزنهاور بتاريخ24/7/1958 في رسالة وجهها إليه «إقامة سد منيع ضد المد الناصري» (أي التيار القومي) وللوقوف أمام التوسع السوفياتي من «إسرائيل» وتركيا وإيران.[34]

تأسّست في اسرائيل عام 1968 جمعية السلام في الشرق الأوسط، مهمّتها وضع الخطط والبرامج والمشاريع لفرض هيمنة «إسرائيل» الإقتصادية على البلدان العربية. وخطّطت هذه الجمعية لإقامة سوق شرق أوسطية على غرار السوق الأوروبية المشتركة وبالتنسيق والتعاون معها، وتتألّف من عدّة سلطات أهمها: (سلطة نفط الشرق الأوسط، سلطة التنمية السياحية، سلطة المياه والري، سلطة الزراعة والصناعة، سلطة تعمير الصحاري).

طرح حزب العمل الإسرائيلي في نهاية الستينيات إقامة إتحاد إسرائيلي– فلسطيني /أردني على غرار

إتحاد بنيلوكس، بين بلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ. ووضع جاد يعقوبي، وزير المواصلات في حكومة الجنرال إسحق رابين عام 1975 مخططاً سرياً للتعاون الإقليمي في مجال المواصلات بين «إسرائيل» والأردن ومصر.

تضمن مشروع يعقوبي ربط الأردن بميناء حيفا بواسطة سكة حديد قطار الغور، وإيجاد اتصال بري بين الأردن وميناء أشدود، وتطوير شبكة خطوط حديدية بين «إسرائيل» والدول العربية المجاورة، وتحويل «إسرائيل» في نطاق التعاون الإقليمي إلى جسر بري بين مصر ولبنان. وتضمن المشروع أيضاً تطويراً إسرائيلياً أردنياً مشتركاً لإيلات والعقبة في المجال السياحي، وبحرية انتقال السيّاح بين إيلات والعقبة.[35]

وضع يعقوب ميريدور، وزير الإقتصاد في حكومة مناحيم بيغن بعد شهر واحد من زيارة السادات للقدس عام 1977، مشروعاً للتعاون الإقتصادي في الشرق الأوسط وتوطين الفلسطينيين في البلدان العربية. اشتمل المشروع على تأسيس صندوق مالي قوامه (30) مليار دولار لعشر سنوات من دول النفط العربية وأوروبا والولايات المتحدة الأميركية، وتستفيد منه فقط الدول التي توقّع على إتفاقات سلام مع إسرائيل، بينما تحصل إسرائيل على حصّة الأسد من الصندوق.

تبنّت بعض الأوساط الأميركية مشروع ميريدور. وتقدّم فرانك شريش، عضو مجلس الشيوخ باقتراح إلى مجلس العلاقات الخارجية والأمن في الكونغرس طالب فيه رئيس الولايات المتحدة بلورة مشروع (مارشال جديد للشرق الأوسط) يؤدي إلى تعاون إقتصادي كامل في الشرق الأوسط مع الذين يعقدون إتفاقات سلام مع إسرائيل.

اقترح شيمون بيريز خلال زيارته للولايات المتحدة في بداية نيسان 1986 اعتماد مشروع مارشال للشرق الأوسط لتأمين الإستقرار في المنطقة حسب التخطيط والمصالح الإسرائيلية على غرار مشروع مارشال لأوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية. وذلك لدمج إسرائيل في المنطقة، والهيمنة عليها. ويهدف بيريز من جرّاء طرح مشروعه الإستمرار في التسوية التي بدأت في كامب ديفيد بحيث ترتكز

على أرضية إقتصادية لحل أزمات إسرائيل الإقتصادية وتحقيق الإزدهار فيها وخلق مصالح مشتركة مع بعض الأوساط العربية لخدمة المخططات الإسرائيلية. ووعدت الولايات المتحدة بدراسة مقترحات بيريز بعناية مع حلفائها، وقال بيريز قبل مغادرته الولايات المتحدة «إنه يعتقد بأن القضايا الإقتصادية ستصبح القضايا الرئيسية في الشرق الأوسط، وإذا لم تعالج مثل هذه المشاكل فإننا يجب أن نتوقع عدم الاستقرار وأن يواجه الشرق الأوسط أعظم المشكلات في تاريخه».[36]

أعلن شيمون بيريز موقفه حول التعاون في الشرق الأوسط في المعهد القومي لدراسات الشرق الأوسط وأمام مثقفين مصريين خلال الزيارة التي قام بها إلى القاهرة في تشرين الثاني من العام 1992 بالعبارات التالية: لا ينبغي أن ننظر إلى المفاوضات السياسية بالتركيز في النظر إلى الماضي، يجب أن نضع نهاية للنزاع العربي الإسرائيلي وأن نبني شرق أوسط جديدا. يجب أن يكون الشرق الأوسط منطقة مفتوحة من ناحية إقتصادية لكل الشعوب التي تقطن فيه. يمكن أن تنشأ كونفدرالية أردنية فلسطينية، أو كونفدرالية إسرائيلية أردنية فلسطينية، أو حلف بصيغة بنيلوكس.[37]

يقول الجنرال أمنون شاحاك، الرئيس السابق للاستخبارات العسكرية ورئيس الأركان الأسبق في مقال له بعنوان «إسرائيل» والشرق الأوسط في عام 2000»، ما يلي:" ينبغي أن تسعى إسرائيل، خلال السنوات القليلة المقبلة لترسيخ مفهوم انتمائها إلى الواقع الشرق أوسطي». ويقول الجنرال ألوف هارايفن حول اندماج إسرائيل في المنطقة: «إذا لم تستطع إسرائيل الاندماج في عالم الغد فإن المشكوك فيه أن يكتب لها البقاء فترة طويلة».[40]

المبحث السادس: الشرق الاوسط الجديد

إعتبر وزير الخارجية الاميركية الاسبق هنري كيسنجر 'Henry kisinjer' الشرق الأوسط أنه نقطة حساسة ومركز الصراع بين الغرب والشرق من جهة، وهو الحيز الجغرافي الذي يقيم فيه الشعب اليهودي من جهة أخرى. وقبل وصوله إلى البيت الابيض قام كيسنجر بزيارة إسرائيل عام 1976 حث فيها المسؤولين الإسرائيليين على أهمية إدارة الصراع في منطقة تعتبر محور السياسة العالمية لعشرات

السنوات القادمة. هذه المنطقة التي تضم بالإضافة إلى البلدان العربية كلاً من تركيا وإيران. وهي مستودع الطاقة التي ترتبط بها الحضارة الى أمد طويل وهي عقدة المواصلات بين القارات الثلاث.[41]

إن مصطلح الشرق الأوسط الجديد الذي استخدمه الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش الاب "George Bush" في خطابة بمناسبة إرسال القوات الأميركية إلى الخليج العربي بعد أسبوع من نشوب الأزمة في آب 1990. وفي معرض حديثه عن هذا القرار تحدث "عن فكرة عصر جديد وحقبة الحرية وزمن السلام لشعوب المنطقة". وأشار إلى شرق أوسط جديد يكون متحرراً من الإرهاب فعالاً في البحث عن العدل وأكثر أمناً في طلب السلام. عصر تستطيع فيه كل أمم العالم أن تنعم بالرخاء، وأنَّ جوهر الشرق الأوسط الجديد هو مجموعة قوانين وقيم تفسر حركة هذا النظام وسلوك القائمين وأولوياتهم وإختياراتهم وتوقعاتهم.[44]

منذ بدء عملية السلام وبالتحديد بعد التطورات التي رافقت مؤتمر مدريد عام 1991 وتوقيع الإتفاق الإسرائيلي الفلسطيني في 13 أيلول1993، خلال ذلك كله بدأت الأوساط السياسية والاقتصادية في الغرب، وفي مناطق أخرى من العالم، تتحدث عن قيام نظام شرق أوسطي جديد في إطار البحث عن مستقبل المنطقة بما يكفل المحافظة على مصالح تلك الدول وتثبيت إسرائيل في نسيج المنطقة.[46] وقد منح الإتحاد السوفياتي بتبدده للولايات المتحدة الأميركية اللحظة الخالدة كي تصبح القطب الوحيد لتوسيع سيطرتها في منطقة الشرق الأوسط، فلم يعد لها منافس في النظام الدولي الجديد. وأما الذي ساعدها على إطلاق مشروع الشرق الأوسط الكبير وجود حلفاء لها في المنطقة.[47]

إعتمدت الولايات المتحدة في تحقيق إستراتيجيتها الشرق أوسطية في السنوات الماضية بشكل مباشر على إسرائيل التي أغدقتها ولا تزال سنوياً بمليارات الدولارات من المساعدات وبأحدث الأنظمة العسكرية ما جعل إسرائيل ترسانة للسلاح الأميركي. وكان هذا الإعتماد لحين نضوج الظروف لوضع اليد مباشرة على المناطق ذات البعد الإستراتيجي في المنطقة.

في 2 آب 1990 يوم غزو العراق، اجتمع مجلس الأمن القومي الأميركي وكان على جدول أعماله

النفط. وقد أكد جورج بوش الأب أن الأمر يتعلق بالمصالح الحساسة للولايات المتحدة، فسيطرة العراق على الكويت يعني السيطرة على 20% من الاحتياطات النفطية في العالم.[52] مما يعني استحواذ صدام حسين على مقدرات نفطية كبرى تجعله يتحكم بأسعاره وإمداداته وأنّ صوابية خيار التدخل العسكري هو محق دون نقاش.[53]

الفصل الثالث: مستقبل الشرق الأوسط بين الجيوبوليتيك والإيديولوجيا

تعتبر المبادىء الجيوبوليتيكية بأنها مجموعة فرضيات استراتيجية تضعها الحكومات بما يتعلق بصياغة سياساتها الخارجية. وتتضمن هذه الاستراتيجية تقويم المناطق الجغرافية الواقعة وراء الحدود من زاوية أهميتها الاستراتيجية، وإمكان أن تصبح يوماً ما مصدر تهديد لأمنها. وهي لا تقتصر على المبادىء الجيبوليتيكية التي تخص الدولة المعنية وحدها، وإنما تشمل أيضاً تقويماً للدول المجاورة لتصبح وحدات البناء الأساسية للنظم الجيوبوليتيكية العالمية.

تعمل هذه المبادىء على ثلاثة مستويات محلية، إقليمية وعالمية:

الأول: على المستوى المحلي حيث تعمل الدولة بتقويم أوضاع الدول المجاورة لها.

الثاني: على المستوى الإقليمي تسعى هذه الدول إلى مد نفوذها على حساب جيرانها المباشرين وهذا ما يوصف بحكومات القوى الإقليمية الطامحة.

الثالث: على المستوى العالمي حيث هناك عدد قليل من الدول لها سياسات استراتيجية عالمية تأخذ بالاعتبار المصالح الاستراتيجية الكبرى، وفي طليعتها الولايات المتحدة الأميركية.

منذ مطلع القرن الماضي حينما أطلق مصطلح الشرق الأوسط إشارة الى رقعة جغرافية تدل على مركز الشرق التاريخي القديم وإمتداده بإتجاه بعض مناطق شمال أفريقيا. بقي هذا المفهوم أحد مفاهيم

الجغرافيا السياسية الأكثر غموضاً، وبقي ينظر إليه عربياً من زوايا صراعية مرتبطة بالإستعمار الغربي ومتناقضة مع فكرة عروبة المنطقة ورفض الوجود الصهيوني الذي يعكر النقاء الجغرافي والثقافي لهذه المنطقة.

المبحث السابع: آفاق الجغرافيا السياسية في الشرق الاوسط

إذا كان القدر التاريخي للشرق الأوسط أن يضطهد بنقمة الجغرافيا أكثر من أن ينعم بها، وما في باطنها فإن الصراع حول الأرض بدأ يأخذ أبعاداً أخرى. ويبدو أن جميع الأطراف باتت تتعامل في هذا الوقت مع المكون الثقافي الذي طالما تم تجاهله، فالشرق الأوسط الكبير في العيون الأميركية يمتد من أفغانستان الى المغرب، وفي الوقت الذي ستبقى مؤشرات احتدام الصدام قائمة وتشير إلى احتمالات تفاقم العراك التاريخي أكثر مما هو سائد على الأرض اليوم، فإن احتمالات أن تشهد المنطقة صفقات تاريخية واردة وبكل قوة أيضاً. ولعل من أكثر المشاريع قابلية لتنفيذ هذه الصفقات هو المشروع الأميركي.

إنَّ المشروع الأميركي الذي ينفذ حالياً على أرض الواقع يشهد حالة صدام مع مشروع الأصولية الإسلامية؛ فحالة الصدام القائمة مفتوحة على كل الاحتمالات وقابلة لمد غير متوقع.

لعل الأمر الأكثر خطورة في الموجة الراهنة لطرح الشرق الأوسط "الكبير" كونها لا تنطلق كسابقتها «الشرق أوسطية» من ضرورة حل الصراع العربي- الاسرائيلي كأساس لإغلاق ملفات الجغرافيا السياسية المفتوحة وصراعاتها الموروثة من القرن العشرين، لتستبدل بها ملفات الجغرافيا الإقتصادية القائمة على أنماط التعاون والتكتل وتدعيم النزعة العالمية المفترض كونها روحاً للقرن الحادي والعشرين، وإنما من إمكانية أو وهم تحييده بتحويله إلى مشكلة عادية فرعية قد تحل أو لا تحل. لأن الغاية النهائية أصبحت شل قدرة المنطقة على إفراز العنف أو الإرهاب على نحو يهدد الأمن الأميركي، إضافة لمشروع اليمين المحافظ لبسط السيطرة العالمية وتلبية مطالب المجمع الصناعي العسكري، وضمان التفوق الإسرائيلي الحاسم على الدول العربية، ونزع عقيدة القومية العربية في

الحقيقة.

قال رينهولد نيبور (1892–1971)أحد أشهر رواد النظرية الواقعية في العلاقات الدولية في القرن العشرين، مفسراً السلوك الاستراتيجي من كيسنجر مروراً ببريجنسكي حتى بوش ورامسفيلد إن الذي يسيطر على الشرق الأوسط يسيطر على أوروبا.[60]

كانت الولايات المتحدة قبل الحرب العالمية الثانية مكتفية ذاتياً بالنسبة للطاقة؛ لكنها تحولت إلى المستهلك العالمي الأول؛ حيث تمثل 4.6% من سكان العالم، بينما تستهلك ربع إنتاج النفط في العالم. وفي الوقت ذاته فإنها لا تزال تستورد 24% من إحتياجاتها من نفط الشرق الأوسط. صحيح أن النسبة أقل من نسبتها قبل حرب تشرين أول 1973، ولكنها أكثر بنسبة الثلث قياساً مع السنوات القليلة الماضية. وهو ما يعنى بالنسبة للعقلية الحاكمة بواشنطن، وللمخططين الاستراتيجيين فيها، عدم السيطرة الجازمة في سوق النفط العالمية.

إن الباحث عن توجهات السياسة الدولية بعد الثورة البترولية أو ما سمي بالانقلاب الجيوبوليتيكي/ الاستراتيجي، يستطيع أن يستشف معادلة البترول والشرق الاوسط، ودخولهما في صلب الاستراتيجية الأميركية. فمنذ أن أصبحت المنطقة المستودع الأول لمخزون البترول في العالم تحول تدريجياً ليصبح محور السياسات والصراعات. من هنا كانت المعادلة أو المتتالية التكنولوجية الاستراتيجية الجيوبوليتيكية في عصر بريطانيا هي: الفحم، السكة الحديدية، الباخرة، قناة السويس، مصر، الإستعمار القديم، صراع الإمبراطوريات، ولكن هذه المتتالية تحولت في العصر الأميركي إلى: البترول، السيارة، الناقلات، الخليج العربي، الإستعمار الجديد، صراع الكتلتين.

تأثر مجلس الأمن القومي الأميركي بنظرية ماكندر،[61] التي تقول إنَّ العراق قلب المنطقة العربية الأسيوية، وحسب رأيه ماذا يعني إحتلال العراق، السيطرة على البترول، وأن تعين أي حكومة تريدها لتتحكم في خطوط المواصلات الاستراتيجية. فهي تطل على الخليج العربي وتتحكم في منطقة الشرق الأوسط وتصبح المنطقة حسب رأي هاملتون تحت الهيمنة الأميركية من القاهرة حتى إسلام آباد، أي

أن تكون المنطقة تحت مظلة السلام الأميركي.[62]

إن التبدل في تغيير مركز الثقل الاستراتيجي، وما يفرضه ذلك على إدارة الصراع والاستراتيجية، هو ما يدفع بالضرورة إلى تحجيم أوتضخيم أدوار لأحد الأقاليم أو الدول. فبعد أن كانت السويس كبيرة والخليج صغيرًا من الوجهة الاستراتيجية، انقلبت الموازين واختلت. فأصبح الخليج كبيرًا جدًا والسويس صغيرة نسبيًا، بل وورث الخليج ومضيقه دور وموقع مصر وقناتها إلى حد بعيد جغرافيا واستراتيجيًا، ومن هنا لم يكن غريبا وقوع ثلاث حروب على ضفاف الخليج وحوله، ولواشنطن يد فيها خفية أو علانية منذ الثمانينيات وحتى الآن.

المبحث الثامن: مشكلات الأيديولوجيا في الشرق الاوسط

اولا: تاثير الايديولوجيا على الانظمة السياسية في المنطقة

في ظل المد القومي، تحالفت الدول البترولية مع التيارات الإسلامية للوقوف ضد دول الإرتكاز الجغرافي التي كانت تعمل ضمن الأيديولوجيا القومية. فعندما قامت الوحدة بين مصر وسوريا (1958-1961) استشعرت القوى الغربية وإسرائيل بالخطر. نظراً لإرتباطها بالمد القومي فإنها تدل على وعي استراتيجي، تشكل من وعي النخبة السياسة العربية، وإذا نظرنا إلى حرب 1967 وبغض النظر عما قيل حولها، فهي تخطيط إستراتيجي لإحباط دور نقطة الارتكاز الجغرافي العربي لإضعافه وإبعاده عن نطاقه العربي الآسيوي أو الجناح العربي– الأفريقي.

أضف إلى ذلك صعود الإسلام السياسي في المنطقة والذي ينظر إليه من جانب إسرائيل باعتباره مصدر تهديد للأمن الإسرائيلي. إذ لم تخف الأصولية الإسلامية معارضتها ورفضها لشرعية وجود إسرائيل في المنطقة والتي تمثل بالنسبة لهؤلاء دولة غير شرعية تم تأسيسها من قبل الغرب الاستعماري على أراض إسلامية وعلى حساب الفلسطينيين المسلمين. هذا الظلم التاريخي (وفق تحليل الأصولية الإسلامية) يجب تصحيحه.[64]

جاءت الثورة الإسلامية في إيران لتمثل تطوراً سلبياً إضافياً من وجهة النظر الإسرائيلية. الأمر الذي أثار مخاوف شديدة من صعود الأصولية الإسلامية ووصولها إلى السلطة في دول عربية أخرى، خاصة في حالة إمتلاكها أسلحة دمار شامل.[65]

تمثل تلك القضايا ساحة مفتوحة لمحاولة تفسير العوامل التي قادت ولاتزال تقود المنطقة إلى ذلك الوضع. فمشكلة الأيديولوجيين بتياراتهم المختلفة منعت كل إمكانية للتوصل إلى تسويات للمشكلات القائمة في الشرق الأوسط. ولاتزال تأثيراتهم تتفاعل بنشاط في إسرائيل وفلسطين والعراق والجزائر، وسوريا ومصر وربما السودان، ولن تستقر التسويات التي يتم التوصل إليها إذ أن هناك من يعمل دائماً على تفجيرها.

إنَّ إمكان التوصل إلى حلول عملية للصراعات تستند منذ البداية إلى بعض المسلمات التي لا تتناسب عادة مع التفكير الذي يركز على ما يسمى الثوابت بعيداً عن الواقع الذي يتغير حولها، فالنظام الدولي قائم على أسس تستند إلى الواقعية التي تفرز فكرتين أخريين لا تقلان ضراوة، وربما لا أخلاقية، هما القوة والمصلحة. ولايتفق كل ذلك مع التوجهات الأيديولوجية التي لاتستطيع التعايش أصلا مع هذا العالم، وتفضل العنف والرفض والمقاطعة وتدمير ذلك العالم السيء، بدلاً من التعامل معه كما هو عليه.

إن مشكلة الأيديولوجيين هي أنهم يتصورون العالم بمنطق الثنائيات التي تفصلها حدود قاطعة تم رسمها على ساحة تدور فيها معركة وجود. فهناك قوات عدوة وقوات صديقة أو أطراف شريرة وأطراف خيرة، وتتمثل مشكلة النظر للطرف الآخر على أنه عدو في أنه يصبح في حد ذاته هو المشكلة، وليس توجهاته أو سياساته. وبالتالي فإن الحل هو إنهاء وجود الطرف الآخر، سواء بالقتل أو التصفيات أو الإنسحاب الكامل من ساحة المعركة.

فما يجري هو صراع وجود بين هويتين لايحل إلا بإختفاء الآخر، وليس صراع قيم أو مصالح يمكن التفاهم حولها، فلن يتم قبول الآخر حتى لو تم تجرع السم بالتفاوض معه، وسوف تعتبر كل تسوية

هدنة مرحلية تفرضها الضرورات. وفي كل صراع يمارس الايديولوجيون تأثيرا على إدارته بين إسرائيل والفلسطينيين، أو العكس، وبين العراق وإيران، وبين الدول العربية، وداخل السودان والجزائر، والأخطر حاليا، داخل العراق وسوريا التي شهدت كل أشكال الصراعات الدموية السيئة.(66)

رغم كل ما سبق، المشكلة لاتبدأ ولا تنتهي عند توجهات الأيديولوجيين؛ فصراعات الشرق الأوسط تتسم بالفعل بملامح شديدة التعقيد تجعل من تسويتها مشكلة حقيقية حتى لو كانت هناك رغبة جادة في ذلك. كما أن التسويات تكون أكثر إستقراراً بالفعل إذا إستندت إلى توازنات المصالح وليس توازنات القوى.

ثانيا: الأقليات في منطقة الشرق الأوسط.

لقد جنت المنطقة حصاد عام 1919 بتأسيس كياناتها السياسية المعاصرة، وعاشت ما بين الحربين العالميتين فترة تشكّل المؤسسات والقوانين والأجهزة على أنماط مدنية معلمنة صرفه في ظل وجود إنتدابات مختلفة، دون أن تعالج ضرورات المجتمع والإنسان والقوميات والأقليات. ولكنها تغيرت نتيجة مفصلين تاريخيين مهمين جداً، أولهما كان في العام 1949(اسرائيل) وثانيهما حدث في العام 1979(إيران). وإذا كانت دول المنطقة أشبه بكيانات مغلقة وهي هزيلة لا تقوى على الحياة لوحدها، فإنها بدت في القرن العشرين بطيئة التحولات وهي تعيش بكل أصناف نسيجها المتنوع أصعب الحالات نتيجة تصادم التناقضات.

شغل المد القومي العربي قرابة ثلاثين سنة من حياة المنطقة، وأثر تأثيراً سلبياً من خلال أحزابه وتنظيماته المؤدلجة بالأقليات التي فضل بعضها السكوت والصمت المطبق. وقام آخرون بالتعاون، وصولاً إلى العام 1979 الذي انطلقت خلاله الثورة الدينية في إيران، فبرزت الأحزاب الدينية المتطرفة على حساب الحيادية والواقعية والمدنية والفصل بين السلطات، وإنتقلت المنطقة من الظاهرة القومية إلى الظاهرة الدينية.

ثالثا: الشرق الأوسط إلى أين.

لا تزال الخطوط العريضة للحقبة الحالية للشرق الأوسط فى طور التشكيل لكنها تنبثق بشكل طبيعى من حزمة من العوامل سوف تشكل بيئة الأحداث اليومية:

سوف تستمر الولايات المتحدة فى تمتعها بنفوذ فى المنطقة أكبر من أية قوة خارجية أخرى، بيد أن نفوذها سوف يتضاءل عما كان عليه الحال من قبل، وهذا يعكس تأثيراً متنامياً لعدد كبير من القوى الداخلية والخارجية ولا سيما الدور الروسي في سوريا.

سوف تصبح إيران إحدى أقوى دولتين فى المنطقة، لها طموحات لإعادة تشكيل المنطقة كما في تصورها، مع إمكانية ترجمة أهدافها إلى واقع.

سوف تصير إسرائيل الدولة الأخرى الأقوى فى المنطقة، وبلداً ذا إقتصاد حديث قادر على المنافسة عالمياً. لكن مازال عليها أن تتحمل تكاليف إحتلالها للضفة الغربية، والتعامل مع تحديات أمنية متعددة الجبهات والمحاور. ومن الوجهة الإستراتيجية، فإن إسرائيل اليوم فى موقع أضعف مما كانت عليه قبل حرب لبنان 2006. وسوف يزداد موقفها تدهوراً إذا طورت إيران أسلحة نووية.

سيبقى العراق، مركز قوة العرب التقليدى، فى حالة فوضى لسنوات قادمة، وبحكومة مركزية ضعيفة، ومجتمع منقسم، وعنف طائفى منتظم. وفى أسوأ الظروف، سوف يصبح دولة فاشلة.[67]

لم تتبلور حتى الان اتجاهات الوضع في سوريا، لكن المؤكد انها اصبحت شبه دولة، منهكة، مدمرة، نصف سكانها مهجرون، وان عودة سوريا الى ما كانته قبل اندلاع الحرب فيها بات أمرا مستحيلاً.

أسعار النفط ستبقى مرتفعة، وهذا نتيجة للحاجة الشديدة من جانب الصين والهند، والنجاح المحدود فى الحد من الإستهلاك فى الولايات المتحدة، وإستمرار إحتمال حدوث نقص فى الامدادات.

الإرهاب الذي تم تعريفه على أنه إستخدام متعمد للقوة ضد المدنيين بغية تحقيق أهداف سياسية، سيظل

سمة من سمات المنطقة. وسيستمر فى المجتمعات المقسمة، مثل العراق وسوريا، وفى المجتمعات التى تسعى الجماعات الراديكالية فيها إلى إضعاف الحكومات، مثل السعودية ومصر. وسوف يتزايد أكثر فأكثر، وسيبقى أداة تستخدم ضد إسرائيل ووجود الولايات المتحدة وغيرها من القوى الخارجية.

الخاتمة

على المجتمع الدولي العمل لحل الازمة السورية والصراع العربي الإسرائيلي الممتد لعقود ستة، على قاعدة الشرعية الدولية المتمثلة بالقرارات الدولية ذات الصلة وإقامة دولة فلسطين بعاصمتها القدس وحل قضية اللاجئين بإقرار حق العودة، والانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، حتى لا تبقى بمثابة قنابل موقوتة ستنفجر في وجه مسوقي الحلول المغايرة لذلك.

يتوجب على المجتمع الدولي اعتبار حوار الحضارات والأديان قضية القرن الواحد والعشرين في سبيل العدل والحرية والمساواة، وتعزيز عملية التنسيق والتفاعل في المجالات الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية إلى جانب تعزيز أسس الحرية والعدل وحقوق الإنسان، ونبذ التطرف والإرهاب والتمييز العنصري والديني والمذهبي والقومي، واعتبار منظمة الأمم المتحدة الأداة والمكان المخولين لذلك.

على المجتمع الدولي السعي الجدي لجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل والأسلحة النووية حيث تشكل إسرائيل التهديد الحقيقي لامتلاكها ترسانة من الأسلحة النووية والكيماوية.

أما الدول العربية النفطية فمن مسؤوليتها النهوض بالمجتمعات العربية والإسلامية التي تعاني حالة الفقر والتخلف والجهل عبر الاستثمارات القصيرة والطويلة الأجل على مشروعات اقتصادية وتنموية وتعليمية وصناعية وزراعية وتجارية وإنتاجية تتحقق من خلالها نهضة شاملة لتلك المجتمعات مع الاحتفاظ بالحقوق المكتسبة من تلك المشروعات.

يتوجب إيلاء المجتمع العربي والإسلامي الشرق أوسطي أهمية من خلال فتح المجالات بشكل أوسع وأرحب لمؤسساته المدنية وهيئاته الأهلية، على النحو الذي يصبح فيه صوت المجتمع المدني مسموعاً

بوضوح وقوة ليشكل رافداً من روافد الرأي والرؤية التي تقود إلى مستقبل أفضل مشرق.

يتوجب على حكومات المنطقة إعادة النظر في البرامج التعليمية القائمة، كونها تشكل العمود الفقري والمدخل الأساسي في بناء الأجيال القادمة الواجب تربيتها على حب الغير واحترام الكرامة الإنسانية بغضّ النظر إلى جنس الإنسان الفرد ولونه ومعتقداته وانتماءاته الدينية والمذهبية والقومية.

رغم تعدد المحاولات والمشروعات التي طرحت وما زالت مطروحة في منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة، لإقامة نوع أو أكثر من الإتحادات أو التكتلات أو الأسواق المشتركة ورغم تعدد طبيعة وعناصر وأهداف كل مشروع، ما بين مشروع قومي عربي، أو إسلامي، أو شرق أوسطي، أو متوسطي، فالملاحظة الرئيسية أنها جميعاً تواجه صعوبات شتى، وكلها متوقفة. واحتمالات الصدام تفوق بكثير احتمالات الوفاق. يرجع ذلك إلى عدد من الأسباب والذرائع يتحكم بمعظمها جيوبوليتيك وأيديولوجيا هذه المنطقة وقد عبرت عنها رؤى نظرية وبحثية، ومواقف وتصريحات حكومية ورسمية شتى، وتمتد من مجرد عدم وضوح مفهوم كلمة مشروع، إلى كونه يتجاهل ثوابت مهمة! كالتاريخ أو العقيدة أو القومية أو الدين، أو كونه يهدف إلى تسلط عربي أو اخضاع أميركي، أو سيطرة أوروبية، أو توسع صهيوني إسرائيلي، أو تطرف إسلامي.

الأطماع الأميركية لن تتوقف عند إحتلال العراق والسيطرة عليه، بل تستهدف إعادة ترتيب أوضاع المنطقة كاملة والعودة بها إلى وضعية الصندوق المعزول عن البعد القومي ولن تعجز عن إيجاد الذرائع والمسوغات لتبرير ذلك. وسيتم العمل على إعادة توظيف الثروة البترولية العربية بما يحقق إخراجها كلياً من الحسابات السياسية للنظم العربية، وتسخيرها بصورة مباشرة لصالح النفوذ العسكري في المنطقة وتنفيذ أهدافه المنسجمة مع بناء شرق أوسط جديد تدخل إسرائيل في كيانه بدور قيادي ورعاية أميركية.

الشرق الأوسط الكبير لا يعدو أن يكون "سايكس بيكو جديدة" تتنكر ليس فقط لسيادة دول الوطن العربي وإستقلاليتها بل تهدد مستقبل الأجيال العربية وتصادر حريتهم باسم الديموقراطية وتهدد هويتهم

الثقافية والدينية والأخلاقية باسم مكافحة الإرهاب.

ان مستقبل الشرق الاوسط سيبقى عالقاً بين مطرقة الجيوبوليتيك الذي يحمل لعنة سايكس بيكو وسندان الايديولوجيا التي ترتكز على الانقسامات التاريخية وتتغذى من الجهل والتخلف. هذا المستقبل سيبقى ضبابياً ومقلقاً الى أمدٍ غير قريب.

ملحق

مرفق مع بحث منطقة الشرق الاوسط

خريطة الشرق الأوسط الجديد

هوامش

(1) ماجد كيالي، مشروع الشرق الاوسط الكبير دلالاته واشكالاته، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 1998، ص14.

(2) سلامة أحمد سلامة وآخرون، الشرق أوسطية: هل هي الخيار الوحيد، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1995، ص 24.

(3) صلاح أحمد زكي، النظام العربي والنظام الشرق أوسطي، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995، ص 7.

(4) يشمل مفهومين أوسع وأضيق، المفهوم الاوسع يطلق على كل مناطق الساحل الشرقي من البحر المتوسط التي تشمل حاليا "اليونان وتركيا وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر"، أم المفهوم الاضيق فيشمل البلاد غير الاوروبية، ويطلق أحيانا على دولتي لبنان وسوريا اللتين كانتا تحت الانتداب الفرنسي.

(5) علاء عبد الوهاب، الشرق الاوسط الجديد:سيناريو الهيمنة الإسرائيلية،دار سينا للنشر، القاهرة،1995، ص 61.

(6) John Paton" Knowledge Encyclopedia" (Leicester grisewood and Dempsey Ltd p 235. .

(8) جورج طرابيشي، عرض كتاب "الشرق الأوسط لجورج قرم"، مقالة منشورة في جريدة الحياة, بتاريخ 27 تشرين الثاني 1993.

(9) البنك الدولي، التقرير السنوي حول التنمية البشرية عام2002، ص 232.

(10) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي دليل التنمية البشرية الصادر عن العام www.un.org.2005

(11) مارتن انديك، سياسة إدارة كلنتون حيال الشرق الأوسط، مقالة منشورة في مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 15، صيف 1993، ص205-196.

(13) Chantal de Jonge Qudraat (Editor), Conference of Research Institutions in the Middle East, Proceedings of the Cairo Conference (18-20 April 1993) New York and Geneva: United Nations Institute for Disarmament Research (Document UNIDIR/94/16), 1994, p.2

(15) معين حداد، الشرق الأوسط دراسة جيوبوليتيكية قضايا الأرض والنفط والمياه، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،.بيروت،ط2، 2003، ص29.

(17) Cheney"U.S.Defence Strategy for an Era of Uncertainity"International Defence review January Richard 1991,p7-9

(21) Jimmy Carter, State of the Union Address 1980, Carter library@ nara.gov.November 03-2006.

(22) W. ROLLIG. On the origins of the Phoenicians.Berytus Vol 31. 1983

(23) رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1986،ص 126.

(27) . Bush , Britain , India and the Arabs.p 306

(30) ظافر القاسمي، الجهاد والحقوق الدولية في الاسلام، دار العلم للملايين ، بيروت، 1982،ص 167-175.

(31) إنعام رعد، الصهيونية الشرق أوسطية والخطة المعاكسة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت 1997، ص62، نقلاً عن مذكرات هرتسل، ص456.

(32) ماجد شدود، النظام الإقليمي الشرق أوسطي، مطبعة اليازجي، دمشق 1996، ص14.

(33) غازي حسين، الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والإمبريالية الأميركية، دراسة في منشورات إتحاد الكتاب العرب دمشق، 9 تموز 2005.

(34) محمد حسنين هيكل، الانفجار، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة 1990، الملاحق، نص رسالة بن غوريون إلى الرئيس الأمريكي دوايت إيزنهاور في 24/7/1958.

(35) مشروع جاد يعقوبي، للتعاون الإقليمي، مقالة منشورة في صحيفة يديعوت أحرونوت، بتاريخ 22كانون الثاني 1977.

(36) جريدة الثورة الدمشقية، العدد 7066، بتاريخ 27 نيسان 1986.

(37) مقالة منشورة في جريدة السفير في 9كانون الثاني1992، نقلاً عن صحيفة دافار بتاريخ 20تشرين الثاني1992، من الكلمة التي ألقاها بيريز أمام المعهد القومي لدراسات الشرق الأوسط في القاهرة.

(40) غازي حسين، الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والإمبريالية الأميركية، منشورات إتحاد الكتاب العرب دمشق،2005ص97.

(41) محمد حسنين هيكل، الحل والحرب، شركة المطبوعات، بيروت 1977، ص121،123.

(44) عبد الوهاب المسيري، الشرق الأوسط الجديد في التصور الأميركي الصهيوني، مقالة منشورة في مجلة المعرفة العربية السعودية، العدد46، نيسان-أيار 1999.

(46) شيمون بيريز، الشرق الاوسط الجديد. مرجع سابق.صفحات متعددة.

(47) برادلي. أ. تاير، السلام الاميركي والشرق الاوسط 2004، ترجمة إميل أمين مركز بيغن السادات للدرسات الاستراتيجية، ص 21،بتاريخ 2/3/2006.

(52) إيبان ريتلدج، مرجع سابق، ص 89.

(53) المرجع نفسه ص 90.

(60) Yair Evron,, War and Intervention in Lebanon,The Israeli-Syrian Deterrence Dialogue n New York, John Hopkins University, Press1987 ,p. 198

(61) Halford Mackinder, Democratic Ideals and Reality, National Defense University press, 1996, p.175-193

(62) Michael Klare The New Geopolitics the nation, June 19, 2003, p.51

(64) كلمة ألقاها الرئيس جورج دبليو بوش، في الأكاديمية العسكرية في وست بوينت،أجندة السياسة الخارجية الأميركية مجلة إلكترونية تصدرها وزارة الخارجية الأميركية – تموز 2002. -http://usinfo.state.gov/jour nals/itps/0702/ijpa/ijpa0702.htm

(65)) حسين الكعبي، إعادة الروح الى مشروع تصدير الثورة الايرانية، بتاريخ 26شباط2007 س:19،00. -AM http://najaf.friendsofdemocracy.net/utility/tb/id=750898

(66) محمد المختار الفال، يحرج الأيديولوجيين العرب الوطن، مقالة منشورة في جريدة العدالة، العدد2540، بتاريخ 13 أيلول 2007 .

(67) نواف الزرو، اعادة تشكيل الشرق الاوسط وتفكيك العرب لصالح اسرائيل، مقالة منشورة في جريدة السبيل، العدد رقم6068، بتاريخ:1 أذار 2008.

قائمة المراجع

م	اسم المرجع/المصدر	اسم المؤلف	جهة النشر	تاريخ النشر
اولاً: الندوات العلمية والمؤتمرات.				
١	استشراف المستقبل العربي	جورج كتورة	المؤتمر الثاني للفكر العربي بيروت	4-6/12/2003
٢	الإستيطان اليهودي وأثره على مستقبل الشعب الفلسطيني	حسن عبد القادر صالح	وقائع ندوة عقدت في عمان	20/9/2003
٣	الدولة والسياسة والإصلاح	رضوان السيد	المؤتمر الثاني للفكر العربي	4-6/12/2003
ثانياً: الدراسات والأبحاث.				
١	برادلي أ.تاير السلام الأميركي والشرق الأوسط, المصالح الإستيراتيجية الكبرى لأميركا	ترجمة إميل أمين	مركز بيغن السادات للدراسات الإستراتيجية	–
٢	الشرق اوسطية هل هي الخيار الوحيد	سلامة أحمد سلامة وآخرون	مركز الأهرام للترجمة والنشر القاهرة	١٩٩٥
٣	العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط	سيار الجميل	مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق	١٩٩٦
٤	الفلسطينيون في إسرائيل في ظل إتفاقية اوسلو	عزيز حيدر	مؤسسة الدراسات الفلسطينية	١٩٩٧
٥	مشروع الشرق الأوسط الكبير دلالاته وإشكالاته	ماجد كيالي	مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية أبو ظبي	١٩٩٨
ثالثاً: الكتب العربية.				
١	مذكرات هرتسل الصهيونيةالشرق أوسطية والخطة المعاكسة	إنعام رعد	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر	١٩٩٧
٢	التوجيه الجغرافي للتنمية الوطنية والإقليمية	حسن عبد القادر صالح	دار وائل للنشر عمان	٢٠٠٢

٣	العلاقات الدولية في القرن العشرين	رياض الصمد	المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع	١٩٨٦
٤	واقعنا المعاصر والغزو الفكري والسوق العربية المشتركة وعملية العولمة	صالح الرقيب	–	٢٠٠٢
٥	النظام العربي والنظام الشرق أوسطي	صلاح أحمد زكي	دار العالم الثالث القاهرة	١٩٩٥
٦	الجهاد والحقوق الدولية في الإسلام	ظاهر القاسمي	دار العلم للملايين	١٩٨٢
7	الشرق الأوسط الجديد سيناريو الهيمنة الإسرائيلية	علاء عبد الوهاب	دار سينا للنشر	١٩٩٥
٨	الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والإمبرالية الأميركية	غازي حسين	منشورات اتحاد الكتاب	٢٠٠٥
٩	المحنة, العولمة والجدل الدائر حولها	فلاح كاظم	الوراق للنشر والتوزيع	٢٠٠٢
١٠	النظام الإقليمي الشرق أوسطي	ماجد اشدود	مطبعة اليازجي	١٩٩٦
١١	ايبان رتليدج العطش إلى النفط	مازن الجندلي	الدار العربية للعلوم	٢٠٠٦
١٢	الحل والحرب	محمد حسنين هيكل	شركة المطبوعات بيروت	١٩٧٧
١٣	الإنفجار	محمد حسين هيكل	مركز الأهرام للترجمة والنشر	١٩٩٠
١٤	شمعون بيريس الشرق الأوسط الجديد	ترجمة محمد حلمي حافظ	الأهلية للنشر والتوزيع	١٩٩٤
١٥	جورج قرم إنفجار المشرق العربي من تأميم قناة السويس إلى غزو العراق ١٩٥٦-٢٠٠٦	ترجمة محمد علي مقلد	دار الفارابي	٢٠٠٦
١٦	الشرق الأوسط الجديد	محمد عبد الرحمن عطوي	دار الهادي	٢٠٠٤
١٧	الشرق الأوسط دراسة جيوبوليتيكية قضايا الأرض والنفط والمياه	معين حداد	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر	٢٠٠٢

رابعاً: المجلات والصحف.				
١	العرب والعولمة مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل	أحمد مهيوب	مجلة المستقبل العربي	2000
٢	أبعاد العولمة وإعادة هيكلة وسائل الأعلام	حسن مكاوي	مجلة البحوث والإدارات العربية	١٩٩٨
٣	كلمة بيريز امام العهد القومي لدراسات الشرق الأوسط في القاهرة	نقلا عن دافار بتاريخ ١٩٩٢/١١/٢٠	جريدة السفير	9/1/1992
٤	العولمة وآثارها الإجتماعية	زياد عربية	مجلة التعاون	2000
٥	يحرج الأيديولوجين العرب	عبد المختار الفال	جريدة العدالة	13/9/2007
٦	تحديات العولمة	سمير أمين	مجلة الشرق الأوسط مركز الدراسات الإستراتيجية للبحوث والتوثيق	1998
٧	المجال الحيوي للشرق الأوسط إزاء النظام الدولي القادم	سيار الجميل	مجلة المستقبل العربي العدد رقم 84	1حزيران 1994
٨	بدائل العولمة سعيد اللاوندي	عبد الباقي حمدي	مجلة حصاد الفكر	2003
٩	العولمة والبحث العلمي	علي حبيش	ملحق الأهرام الإقتصادية	١٩٩٨/٩/١
١٠	خطة اسرائيل في الثمانينيات	عوديت بنون	مجلة الثقافة العالمية العدد رقم ٧	تشرين الثاني١٩٩٢
١١	سياسة إدارة كلينتون حيال الشرق الأوسط	مارتن أنديك	مجلة الدراسات الفلسطينية العدد رقم ١٥	١٩٩٣
١٢	الثابت والمتغير في الساسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط	منار الشوربجي	جريدة المياه	10/10/1993
١٣	إعادة تشكيل الشرق الأوسط وتفكيك العرب لصالح إسرائيل	نواف الزرو	جريدة السبيل	٢٠٠٨/٣/١

خامساً: المراجع الأجنبية.				
١	Rethinking the Middle East	Bernard Lewis	Foreign Relations	خريف ١٩٩٢
٢	Conference of Research Institutions in the Middle East	Chantal Je Jong Oudraat	Proceeding to the Cairo Conference	18–20 نيسان 1993
٣	Cold War to Détente 1945	Colin Brown and Peter Mooney	Studies in Modern History	١٩٨١/٦/٢٦
4	American Interests and Policies in the Middle East	De Novo	–	–
٥	The Age of Ideology	Frederik M.Watkins	Hall New Jersey	1964
٦	Workshop on the Arms Control and Security in the Middle East III	Fred Wehling	IGCC Policy Paper	23 حزيران 1996
٧	Leicester grisewood and Dempsey Ltd	John Paton	Knowledge Encyclpedia	
٨	U.S. Defence Strategey for an Era of Uncertainity	Richard Cheney	International Defence review	كانون الثاني ١٩٩١
٩	Security in the Gulf: No Panaceas	Rosemarry Hollis	Military Technology	تشرين الاول ١٩٩١
١٠	Democratic Ideals and Reality	Halford Mackinder	National Defence University	١٩٩٦
١١	Theoretical Aspects of International Relations	William Fox	University of Notre Dame	١٩٥٩
١٢	War Intervention in Lebanon. The Israeli-Syrian Deterrm Dialogue in New York	Yair Evron	John Hopkins University	١٩٨٧
١٣	On the origins of the Phoenicians	W.Rollig	Berytus VOL.31	1983
سادساً: الانترنت.				
١	State of the Union Address 1980	Jimmy Carter	Carter library@ nara.gov. November 03-2006	12/2/2008

٢	–	كلمة ألقاها الرئيس جورج دبليو بوش	http://usinfo.state.gov/journals/itps/0702/ijpa/ijpa0702.htm	23/3/2008
٣	إعادة الروح الى مشروع تصدير الثورة الايرانية	حسين الكعبي	AMhttp://najaf.friendsofdemocracy.net/utility/tb/id=750898	3/4/2008
٤	برنامج الأمم المتحدة الإنمائي دليل التنمية البشرية	–	www.un.org.	15/3/2008